



يعينين دامعين طالتا سحب السماء .. وقلب مكلوم مكسور أمام قوانين البشر .. زفرت بحرقة وألم دفينين مادة بصرها إلى الأفق البعيد .. رب أنت من حفظ موسى ورده لأمه بعد أن ألقته في اليم خوفا من ظلم الطاغية .. رب احفظ أبنائي بعينك التي لا تنام فإنك خير الحافظين .. رب إني لا أراهم ولا أعلم حالهم ..

ولكك تراهم وتعلم بهم فاجعلهم يارب دواء لقلبي المكسور وإنني أستودعك إياهم فاحفظهم فإنه لا يعلم ألمي إلاك يا أرحم الراحمين.. أنزلت يديها ومسحت دمعات مسترسلات على خدها وطافت بها ذكرياتها مع فلذات أكبادها.. طفلتي الصغيرة ذات الأعوام الأربع بشعرها البني المسترسل وخدتها النابضين بلون الورد وعينها المليئتان بالطهر والبراءة كيف غدا ثغرك الباسم يا حبيبتي؟!
هل لعبتي مع دميتك وماذا أسميتها؟!

كيف نمتi البارحة ومن حضنك وطبع قبلة النوم على جبينك الناعم وحكي لك حكاية النوم ولا مس أصابعك الصغيرة الرقيقة؟! هل لا زلت تغارين من أخيك الأصغر؟! أم شعرت بالحزن عليه لأنه غدا بلا أم مثلك فتقاسمتها الشعور بالألم وتعاهدتما بصمت وحزن أن تكونا حبيبين صادقين بريئين كما هي براءة عمركما ولا تسمحا للكبار أن يشوهها عهديما يا حبيبي.. هل حضنت أخاك يا صغيرتي حين بحث عن؟؟

وهل وعدتني أن ماما لن تتأخر لأنها لن تترك أطفالها أبدا كما عودتهم لأنها تحبهم؟؟
هل بك أخاك كثيرا عند النوم لأنه لم يجد حضن أمه الذي تعود عليه لينام بدفء وعمق؟؟

ليتك تستطيعين إجابتي يا وردتي.. ليتك تستطيعين البوح لي بما يخالج رأسك الصغير من حزن وألم.. وتخبريني عن كل ما حُكِي لك عنِّي لتنفسي عن غضبك وألمك.. هل أخبروك يا صغيرتي أنني لا أحبكم؟!
هل قالوا لك أن ماما لن تعود وتركوك مكسورة الفؤاد بين تصديق كلام الكبار وتصديق قلبك الطاهر بأن أمك تحبك ولن تتركك أبدا؟!

هل بقيت حائرة يا مهجة روحي لا تعرفين من تصدقني؟! هل ترقرفت دمعتك على جفنيك لا تستطيع الرجوع ولا النزول تعلن
ألما زلزل كيانك يحكي ظلم الكبار وقسوتهم؟!

هل ضاعت نداءات أخيك في الليل بحثا عنى فلتقتها الأبواب والجدران لأن قساة البشر لا يفهون لغة القلوب وطهر عيون
الأطفال!! كيف أنتما يا طفلي البريئين؟! كيف أنتما وبأي حال تعيشان؟!

وأسفلت عينيها مرة أخرى ودموعها الحرى تأبى التوقف ولا تجد ملذا لها إلا أن ترفع يديها مرة أخرى تناجي ربها بصمت
أن يربط على قلبها كما ربط على قلب أم موسى.. وتحملها الذكريات مرة أخرى إلى منزلها قبل فراق أبنائها و تستذكر لحظة
الفرار بكل تفاصيلها وألمها وقهرها وظلمها وكأنها تعيشها اللحظة وتنتظر إلى ابنتها وهي تتشبث بعاءتها وتصبح بألم وخوف
وكان عالمها الصغير توقف تلك اللحظة ليسطر نهاية مأساة وتصرخ الصغيرة (ماما لا تتركيني أنا أحبك) وتتمسك بها بقوة
ترى أثرا في ذراع أمها ووجها وهي تبكي وتصبح حتى لا تبتعد عنها أمها..

وتحتاط صيحاتها بدموع أخيها والذي لم يبلغ من الأعوام ثلاثة وهو يحاول ألا يترك مجالا لأحد ليبعده عن ذلك الصدر
الحنون الذي ينام عليه كل لحظة والذي يؤيده عند خوفه وعند حزنه وعند جوعه وعند ظماء..

وتعلق الألم بطفليها تعلق الغريق بالقشة يذرون الدموع تباعا وتنوالى توسلاتهم ورجاءاتهم للبشر ألا تفرقونا وتنقطعوا
أوصالنا.. ويدوي صوت كالرعد في الأرجاء وكأنه قادم من غياهـ الغـابـاتـ لا يـبـصـرـ أيـ مشـهـدـ إـنـسـانـيـ أـمـاـهـ لـيـنـطـقـ بـكـلـ ماـ
أـوـتـيـ مـنـ صـلـفـ وـقـسـوـةـ وـعـتـوـ ((أـنـتـ طـالـقـ)) وـأـبـنـأـكـ لـنـ يـكـنـواـ لـكـ أـبـدـاـ وـلـنـ تـكـتـلـ عـيـنـاـكـ بـتـرـبـيـتـهـمـ أـوـ الجـلوـسـ إـلـيـهـمـ فـتـعـالـيـ
الـصـيـحـاتـ وـتـرـفـعـ الـزـفـرـاتـ وـالـشـهـقـاتـ مـنـ الـأـمـ

وصغارها.. فقد نزل الحكم البشري عليهم.. ووأد أحلاما بـرـئـيـةـ لـاـ زـالـتـ فـيـ مـهـدـهـا.. وـحـطـمـ قـلـوـبـاـ صـغـيرـةـ رـسـمـتـ آـمـالـاـ كـبـيرـةـ
في حـيـاةـ لـمـ تـشـرـقـ لـهـمـ شـمـسـهـاـ سـوـىـ يـوـمـيـنـ.. لـاـ لـشـيـءـ!! إـلـاـ أـنـهـ كـانـواـ ثـمـرـةـ زـوـاجـ فـاـشـلـ.. تـجـفـ دـمـعـاتـهاـ مـنـ جـدـيدـ وـتـرـفـ يـدـيـهاـ
بـالـحـاحـ عـلـىـ رـبـهاـ أـنـ يـجـمـعـهـاـ بـطـفـلـيـهاـ الصـغـيرـينـ..

يارب إنهمـ بـرـيـئـانـ طـاهـرـانـ لـيـسـ لـهـمـ مـنـ أـمـرـهـمـ شـيـءـ فـلـاـ تـحـرـمـهـمـ مـنـيـ.. يـارـبـ إـنـهـمـ بـحـاجـتـيـ لـأـرـعـاهـمـ وـاتـعـاهـهـمـ لـيـكـبـرـاـ
صـالـحـينـ طـائـعـينـ بـعـيـدـينـ عـنـ تـرـهـاتـ عـتـةـ الـقـلـوـبـ..

يارب لا تـؤـاخـذـهـمـ بـمـاـ جـنـيـنـاـ نـحـنـ الـكـبـارـ فـإـنـهـمـ بـلـاـ حـوـلـ وـلـاـ قـوـةـ..

يارب سـخـرـ لـهـمـ مـنـ يـأـخـذـ بـأـيـدـيـهـمـ وـيـجـبـ كـسـرـ قـلـبـيـهـمـ فـإـنـيـ بـلـاـ حـوـلـ وـلـاـ قـوـةـ..

يارب يـارـبـ يـارـبـ وـتـمـتـ نـدـاءـاتـهـاـ وـتـوـسـلـاتـهـاـ تـقـرـعـ أـبـوـابـ السـمـاءـ لـيـلـاـ وـنـهـارـاـ.. وـهـيـ مـوـقـنـةـ أـنـهـ لـاـ بـدـ سـفـتـحـ وـسـتـنـزـلـ الـرـحـمـاتـ
عـلـيـهـاـ وـعـلـىـ فـلـذـاتـ كـبـدـهـاـ المـمـزـقـةـ..

أـمـاـ ذـلـكـ الـعـلـلـ الـذـيـ لـمـ يـرـحـ دـمـعـاتـ أـطـفـالـ وـنـدـاءـاتـهـمـ.. فـلـمـ يـخـطـرـ فـيـ ذـهـنـهـ مـجـرـدـ خـاطـرـ أـنـ يـفـكـرـ بـطـفـلـيـنـ بـرـيـئـيـنـ طـاهـرـيـنـ
فـيـحـمـلـهـمـ ذـنـبـ قـسـوـتـهـ وـصـلـفـهـ وـعـنـادـهـ وـيـجـعـلـهـمـ أـدـاءـ رـخـيـصـةـ لـتـهـيـدـ وـالـوعـيـدـ فـيـقـطـ حـبـالـ الـوـدـ وـيـنـسـيـ الـفـضـلـ وـيـجـرـ بـقـاـيـاـ
كـبـرـيـاءـ فـيـ نـفـسـهـاـ المـقـهـورـةـ لـيـرـضـيـ غـرـورـ رـجـولـتـهـ المـزـيـفـ مـعـتـقـدـاـ أـنـهـ فـعـلـ كـلـ مـاـ يـجـبـ لـرـعـاـيـةـ أـطـفـالـهـ حـيـنـ حـرـمـهـاـ الـحـضـنـ
الـدـافـعـ وـالـوـجـهـ الضـاحـكـ وـالـلـمـسـةـ الـحـانـيـةـ.. حـيـنـ حـرـمـهـاـ أـمـهـاـ وـهـوـ بـذـلـكـ إـنـمـاـ يـثـأـرـ لـنـفـسـهـ وـلـاـ يـلـقـيـ بـالـأـطـفـالـ وـحـالـهـمـ.

لـمـ تـشـأـ أـنـ تـغـرـقـ فـيـ بـحـرـ آـلـمـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ فـنـفـضـتـ عـنـ نـفـسـهـاـ الـأـلـمـ وـجـفـتـ دـمـوعـهـاـ وـأـوـصـدـتـ أـبـوـابـ قـلـبـهاـ الـمـكـسـورـ
وـفـتـحـتـ نـافـذـتـهـاـ لـتـسـمـحـ لـأـشـعـةـ الـشـمـسـ الـتـيـ تـسـتـأـذـنـ فـيـ الدـخـولـ إـلـىـ غـرـفـتـهـاـ لـتـسـتـقـبـلـ يـوـمـاـ جـدـيدـاـ مـشـرـقاـ بـأـمـلـ كـبـيرـ تـنـتـظـرـهـ مـنـ
رـبـهـاـ..

مـلـاـحـظـةـ هـذـاـ الـمـشـهـدـ يـتـكـرـرـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ بـيـوـتـ الـمـطـلـقـيـنـ يـنـادـيـ الـعـقـلـاءـ وـذـوـيـ الـقـلـوـبـ وـأـصـحـابـ الـإـنـسـانـيـةـ (رـحـمـةـ بـأـطـفـالـ
الـمـطـلـقـيـنـ)ـ فـلـاـ ذـنـبـ لـهـمـ.

المصادر: